سامراء

تكرم سعادة مدير دائرة الآثار بالعراق باهدائنا مجموعة نفيسة من الكتب عن الآثار العراقية فنشكر لسعادته اهتمامه بتقديمها ... ويسرنا أن نقتبس هنا وفي الأعداد التالية بعض ما جاء بها .

العمارة

سامراء .. تلك المدينة التى تمثل لونا خاصا من العمارة العربية المرحة الغنية بظاهر الترف والبذخ حتى أن فنانيها كانوا يبالغون فى استعمال رقائق الذهب والفضة فى كساء بعض أجزاء المبانى كما كان قدماء المصريون يستخدمونها فى مبانيهم . وحتى فى العصر الحديث يستعمل بعض المهندسين الألوان البراقة والعاكسة كصفائح الألومنيوم وخلافه ..

ومدينة سامراء الحالية مبنية على أطلال مدينة « سرمن رأى » القديمة التى تمتد أطلالها على طول نهر الدجلة الى أبعاد شاسعة . وتصل من جهة الجنوب الى محل قريب من فم نهر « القائم » . ومن جهة الشمال الى صدر نهر الرصاص . ولذلك يبلغ طول الأطلال نحو أربعة وثلاثين كيلو متراً . وتقع ثمانية منها جنوب المدينة والبقية فى شمالها .....

وقد أسس مدينة سامراء الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد ثامن الخلفاء العباسيين سنة ٢٢١ هجرية الموافقة سنة ٨٣٦ ميلادية .. وقد وصلت الى أوج عظمتها فى عهد المتوكل (من سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٦م - ٢٤٧ هـ ٨٦١ م) .. وقد كتب عنها المؤرخ القديم اليعقوبى فى كتاب البلدان انها المدينة الثانية من مدن خلفاء بنى هاشم . وقد سكنها ثمانية خلفاء .. وقد كانت فى متقدم الأيام صحراء من ارض الطيرهان لاعمارة بها . وكان بها دير للنصارى بالموضع الذى صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة وصار الدير بيت المال . فلما قدم المعتصم بغداد من طرسوس فى السنة التى بويع فيها بالخلافة وهى سنة ثمانى عشرة ومائتين نزل دار المأمون ثم بنى داراً فى الجانب الشرقى من بغداد وأقام بها فى سنة ثمانى عشر وتسعة عشرة وعشرين وإحدى وعشرين ومائتين ... وكان معه خلق كثير من الاتراك وهم يومئذ أعاجم ..

أعلنى جعفر الخشكى قال : (كان المعتصم يرسلنى فى أيام المأمون الى سمرقند الى نوح بن أسد فى شراء الأتراك . فكنت أعود إليه فى كل سنة ومعى جماعة منهم حتى اجتمع له فى أيام المأمون زهاء ثلاثة آلاف غلام فلما أفضت إليه الخلافة ألح فى طلبهم . واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس . وكان أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضهم ويضربون البعض الآخر فتذهب دماؤهم هدراً ولا يعرف من فعل ذلك . فثقل ذلك على المعتصم فعزم على الخروج من بغداد . فخرج الى الشماسية وهو الموضع الذى كان المأمون يخرج إليه فيقيم به الأيام والشهور وعزم أن يبنى بالشماسية خارج مدينة بغداد فضاقت عليه أرض ذلك الموضع وكره أيضاً قربها من بغداد فمضى الى البردان ....

وبعد البحث والتوقف فى عدة مواضع عمد إلى القاطول فقال ان هـذا اصلح موضع . فسير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة ويكون البناء على الدجلة والقاطول . فبدأ البناء واقطع القواد والكتاب والناس فبنوا حتى ارتفع البنـاء واختلطت الاسواق على القاطول وعلى دجله وسكن هو فى ما بنى له وسكن بعض الناس ايضا . . .

ثم قال ارض القاطول غير طائلة وإنما هى حصا وافهار والبناء بها صعب جدا . وليس لارضها سعة ثم ركب للصيد وفى مسيره مر بأرض (سر من رأى) وهى صحراء من الطير هان لا عمارة فيها ولا انيس إلا دير للنصارى فوقف بالدير . . ثم عزم المعتصم على ان ينزل بذلك الموضع فاحضر وزرائه وقال لهم اشتروا من اصحاب هذا الدير هذه الأرض . . ثم احضر المهندسين وقال لهم اختاروا اصلح هذه المواضع فاختاروا عدة مواضع للقصور وترك الى كل رجل من رجاله واصحابه بناء قصر .

ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع ووسعت صفوف الأسواق وجعلت كل تجارة منفردة . وكل قوم على حدة على نسق اسواق بغداد .

وقـد جلب لذلك امهر الصـناع وادوات البناء والمواد المختلفة من البصرة وبغداد وانطاكيه وسواحل الشام وقـد عزل قطائع الاتراك ومنعهـم من الاختلاط بالمولدين ولا يجاورهم إلا الفراعنة . ثم اشترى لهم الجوارى وازوجهم منهن وأجرى لهم أرزاقا قائمة .

واحضر المعتصم كذلك من كل بلد من يعمل عملا من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والغرس وهندسة المـاء ووزنه واستنباطه وحمل من مصر كذلك من يعمل القراطيس وغيرها وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر وحمل من الكوفة من يعمل الادهان ومن سائر البلدان كذلك من أهل كل مهنة وصناعة . وبنى المعتصم كذلك العمارات والقصور فبنى فى كل بستان قصرا به برك وميادين . فحسنت العمارات وتنافس الناس فى البناء هناك .

وأهم الخرائب الباقية من مدينة سامراء القديمة هى الجامع القديم الكبير المعروف باسم المسجد الجامع ومأذنته المعـروفة باسم الملوية . وهى مخروطية الشكل تستند إلى قاعدة مربعة يرتقى إلى قمتها من سطح صاعد فى شكل حلزونى يدور حولها من الخـارج ويبلغ طولها اثنين وثلاثين مترا وقطر القمة ستة أمتار ويبلغ مجموع ارتفاع المأذنة والقاعدة عن سطح الأرض ٥٢ مترا ويبدأ الصعود الحلزونى من وسط الضلع الجنوبى المقابل لجدار الجامع نفسه باتجاه عكس اتجاه عقرب الساعة فى خمس لفات إلى أن يصل إلى باب القمة الذى ينفتح هو الآخر فى وسط القسم الجنوبى .

والقمة الاسطوانية يبلغ ارتفاعها ستة أمتار وهى مزدانة بروازين عمياء مدببة العقد ومقعرة السطح وعدد هذه الروازين العمياء ثمان غير أن احداها تقوم مقام الباب ويوصل الى ذروتها درج حلزونى يدور داخلها حول الممر وتدل المعالم الموجودة على أن هذه القمة كانت متوجة بسقيفة خشبية . وتقع هذه المأذنة خارج الجامع على بعد عشرين مترا من ضلعه الشمالى . ولا شك أن شكل هـذه الملوية ليس بغريب علينا هنا فى مصر إذ ان احمد بن طولون نقل طراز هـذه الملوية فى شكل مصغر مصر بعـد أن

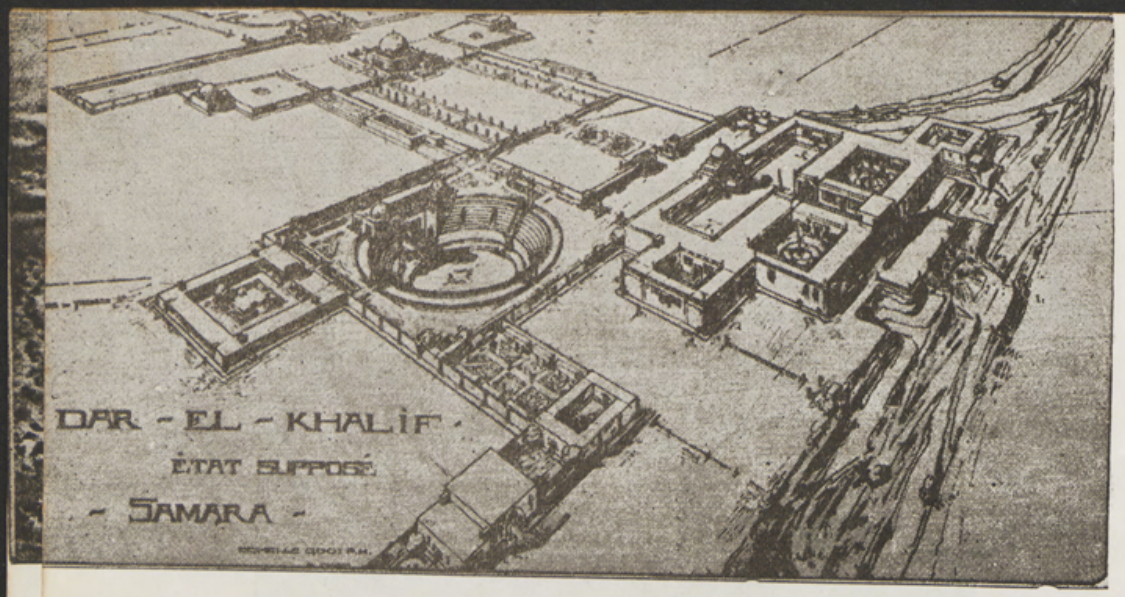

(منظور تصورى لدار الخليفه)

(منظور للشارع الاعظم)

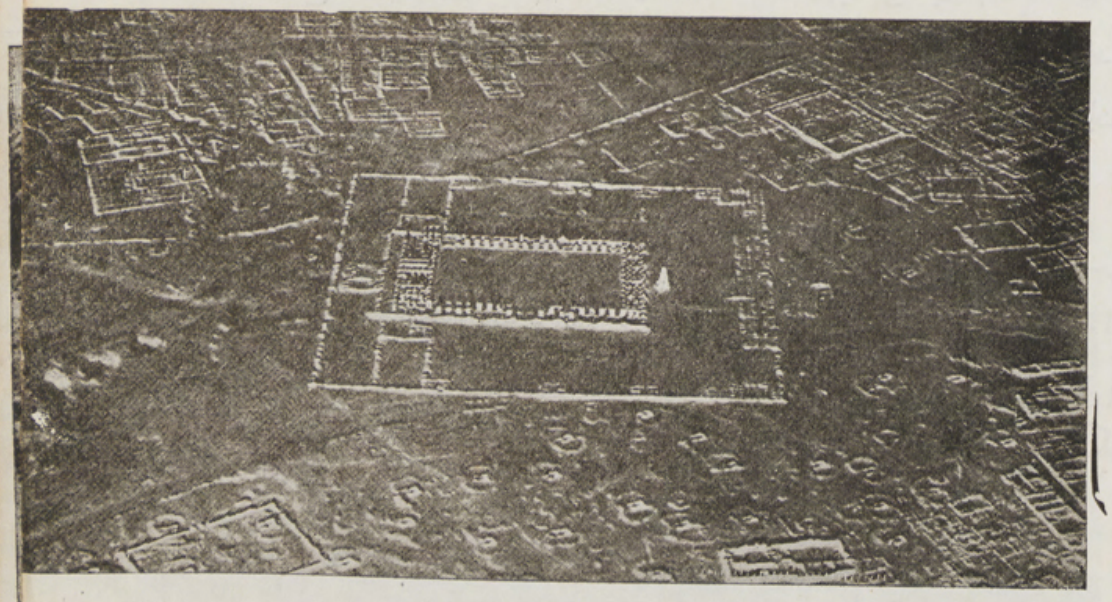

(منظر جوى لمنطقة ابو دلف)

الملوية بالجامع الكبير بسامراء

أصبح حاكما على مصر .

أما الجامع نفسه فلم يبق منه شيئا قائما غير جدرانه الخارجية التى تحيط بساحة مستطيلة طولها نحو مائتين واربعين مترا وعرضها مائة وستين مترا ولا يقل سمك الجدار عن مترين . ويزيد ارتفاعه عن عشرة أمتار وقد دعمت من الخارج بابراج نصف اسطوانية يبلغ عددها اربعين برجا . اربعة منهـــا فى الاركان وثمانية فى كل ضلع من الضلعين الجنوبى والشمالى وعشرة منها فى كل ضلع من الضلعين الشرقى والغربى . .

ودار الخليفة أهم وأعظم القصور التى بنيت حين تأسيس سامراء . ويبلغ طول واجهته من جهـة النهر ٧٠٠ متر وأما المسافة التى بين بابه ومنتهى بناياته الخلفية فلا تقل عن ٨٠٠ متر وذلك بقطع النظر عن الحديقة الفسيحة التى كانت تمتد أمامه حتى شاطىء النهر ولقد لاحظ أطلال هـــذا القصر العظيم المهندس الفرنسى فيولة Viollet سنة ١٩٠٩ ورسم مخططا تقريبيا بالنظر إلى المعالم التى رآها ظاهرة عندئذ . ثم رسم صورة خيالية للقصر حسبما تصور حالته الأصلية . ولكن هذه الصورة الخيالية لا تبعد عن نتائج المسح

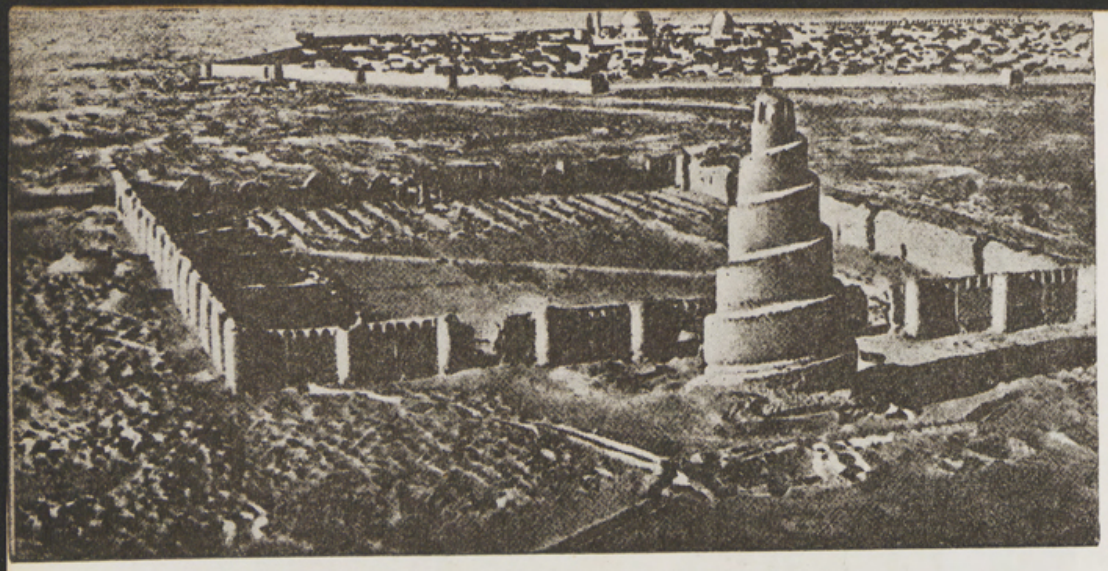

(مدينة سامراء وبقايا الجامع الكبير)

(منظر جانبي للجامع الكبير بسامراء)

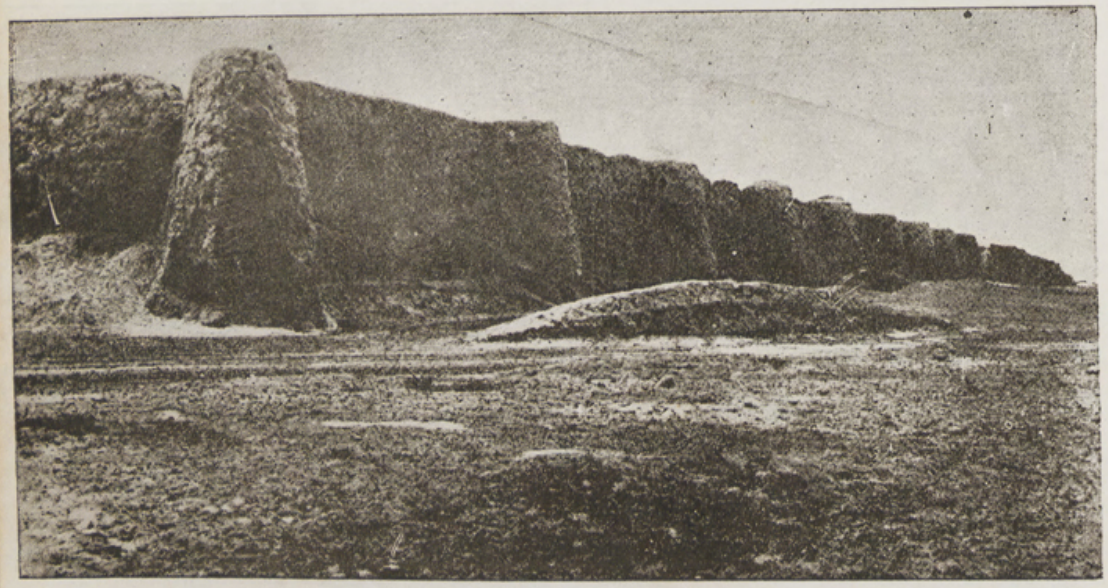

(منظور لجانب من جوانب سور شناس)

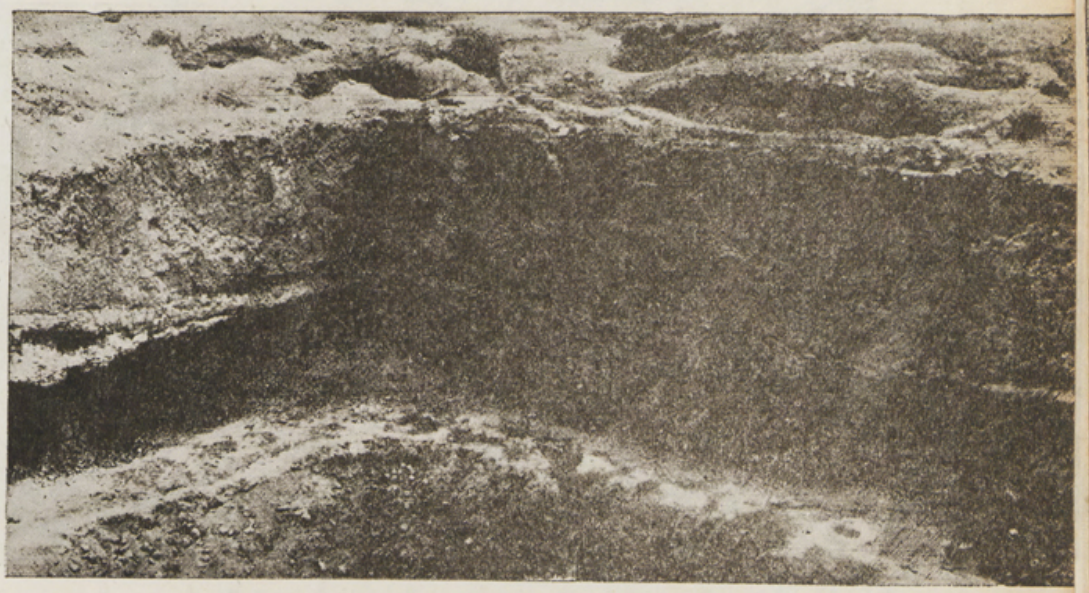

التى قام بها المهندس المشار اليه . وجاء العالم الألمانى هرتسفيلد Herzfeld بعد فيولة وقام فى القصر بتنقيبات وحفريات منتظمة كشف خلالها قسميه الوسطى والجنوبى مع بعض أقسامه المتفرقة وا كتشف قاعة العرش وغرف التشريفات والحمام ودوائر الحرم كما عثر على آثار كثيرة وصور بديعة وموادخزفية.

ويقع تل العليق فى الجهة الشمالية من الجامع والشمالية الشرقية من بيت الخليفة ، والتل محاط بخندق دائرى عريض والضفة الخارجية من الخندق المذكور محددة بسور منتظم وارتفاع التل عن السهل المجاور نحو ٢٥ مترا. وأما عمق الخندق فنحوا من ثلاثة أمتار وان قطر التل نحو ٢٠٠ متر وأما قطر السور المحيطة بالخندق فنحو ٤٥٠ مترا . ويعلل الناس تسمية هذا التل برواية يتناقلونها أباعن جد وهى ان التل تكون من

١ ـ منظر جانبى لاطلال دار الخليفة
٢ ـ منظر لهاوية السباع بدار الخليفة
٣ ـ اطلال قصر العاشق والسراديب

التراب الذى نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم . وان الخليفة المتوكل أراد أن يظهر كثرة جنوده بدليل عيانى محسوس فامر بأن يملأ كل واحد من جنوده الخيالة طبقة بالتراب ثم يرميه هناك . والتل قد تكون من التراب الذى تجتمع على هذا الوجه .

ساءة الفرو - ية: ان الخرائط الطبوغرافية الدقيقة والصور الجوية تظهر فى السهل الذى يقع شمال المسجد الجامع شكلا غريبا جدا وهو يتكون من حيث الأصل من اجتماع اربع حلقات كبيرة حول مربع مركزى . وقد اعتبرت الخرائط الانكليزية التى تبينت هذه الاشكال ولاحظتها انها حديقة غير أن التنقيبات التى قامت بها مديرية الآثار قد اثبتت فساد ذلك الزعم وانها انما تتكون من طوقين متوازيين يدوران بهذا الشكل الجميل تاركين بينهما ساحة عرض فيها ٨٠ مترا تلتوى حول المربع المركزى اربع مرات دون أن تنقطع من أى محل كان . والمربع المركزى المبحوث عنه يكون دكة مرتفعة تظهر عليها آثاو بناية من الاجر ولا يوجد داخل تلك الساحة شىء يشبه قنايا المياه يسوغ فرضه حديقة زينة . وبهذا يصبح اصح الفروض انها انما كانت ساحة فروسية

٣ ـ منظر خارجى لقبة الصليبية
٢ ـ المنقور ببقايا النصر الجنوبى
٣ منظر لاطلال ابودلف